مَنْ مؤلف كتاب:
كيف كان ظهور
شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب؟

د. محمد خير البقاعي
قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

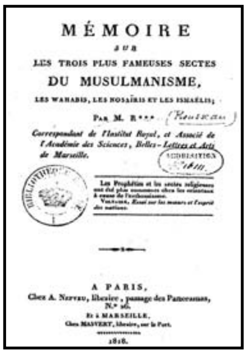
MÉMOIRE
SUR
LES TROIS PLUS FAMEUSES SECTES
DU MUSULMANISME,
LES WAHABIS, LES NOSAÏRIS ET LES ISMAÉLIS;
PAR M. R*** (Rousseau)
Correspondant de l'Institut Royal, et Associé de l'Académie des Sciences, Belles-Lettres et Arts de Marseille.

A PARIS,
Chez A. Nepveu, libraire, passage des Panoramas, N.° 26.
Et à MARSEILLE,
Chez MASVERT, libraire, sur le Port.
1818.

ما تزال المصادر الأصيلة تكشف كل يوم معلومات جديدة عن تاريخ الدولة السعودية الأولى، وخصوصاً ما كان منها بعيداً عن أعين الباحثين الذين اكتفوا لسبب أو لآخر بالإشارة إلى بعض تلك المصادر دون أن يطلعوا عليها؛ فجاءت معلوماتهم عنها مجتزأة أو خاطئة في بعض الأحيان.

ومن هذه المصادر في هذا الباب كتاب جان - باتيست - لويس - جاك روسو: Jean-Baptiste-Louis-Jacques Rousseau التذكرة في ثلاث طوائف مشهورة في الإسلام: الوهابيون والنصيريون والإسماعيليون(١).

---

(١) العنوان الفرنسي:

Mémoire sur les trois plus fameuses sectes du Musulmanisme, les Wahabis, les Nosairis et les Ismaélis, par M. R***, Correspondant de l'Institut Royal et Associé de l' Académie des Science, =

لم أجد من استشهد به أو اقتبس منه إلا الدكتور منير العجلاني رحمه الله⁽²⁾؛ فذكره بعنوان "أشهر المذاهب الإسلامية الثلاثة"، وقال: "من أوائل الكتب الفرنسية التي تحدثت عن الوهابية، وقارنتها بالإسماعيلية والنصيرية؛ لتظهر اختلافها عنهما، خلافاً لمزاعم بعض المؤلفين العثمانيين⁽³⁾، كتاب ألفه الكاتب الفرنسي روسو ونشر عام ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)"، ثم لخص العجلاني بعض ما جاء في الكتاب عن دعوة الشيخ، ونشر صورة فوتوغرافية للغلاف. قال: "كتاب ألفه الكاتب الفرنسي روسو ونشر عام ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)". وهذا شيء مما كتبه عن الوهابية: "إن نظرية⁽٤⁾ محمد بن عبدالوهاب بسيطة جداً، فهو يدعو إلى عبادة إله واحد⁽٥⁾،

تاريخ البلاد العربية السعودية
الجزء الأول
الدولة السعودية الأولى
تأليف
الدكتور منير العجلاني
سيرة محمد بن عبد الوهاب ودعوته
سيرة محمد بن سعود وحروبه

= Belles-Lettres et Arts de Marseille, à Paris chez A. Nepveu, Libraire, passage des Panoramas No. 26. Et à Marseille Chez MASVERT, Libraire, sur le Port,1818.

(٢) في كتابه "تاريخ البلاد العربية السعودية"، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ١٩٩٣م، ج١، ص٣٠٨ - ٣٠٩.

(٣) نجد مثل هذا الادعاء في كتاب أيوب صبري صاحب كتاب "مرآة الحرمين"، الذي وضع كتيباً سماه "تاريخ الوهابيين"، طبع في عام ١٢٩٦هـ في إستانبول، ملأه بالكذب والافتراء، وبدأه بقوله: إن أصول الوهابيين ترجع إلى القرامطة، وغير ذلك...، انظر العجلاني، ج١، ص٣٢٢ - ٣٢٣. وأخبرني الصديق الدكتور سهيل صابان أن الكتاب أعيد طبعه، وصدر عن دار بدر في إستانبول، ١٩٩٢م، ويقع في ٢٨٨ صفحة من القطع الصغير.

(٤) في أصل دونرسيا: مذهب.

(٥) في أصل دونرسيا: الخالق والحافظ.

ويقول: إن الله هو مصدر ما يصيب الناس من خير ومن شر، وإن أحداً لا يستطيع أن يتوسط بين العبد وبين خالقه؛ ليغير القضاء والقدر، وإن الموتى ليسوا أكثر من تراب، فهم لا يضرون، ولا ينفعون، وتوجيه الأدعية إليهم والبناء على قبورهم عبث بل شرك، وقد بدأ النصارى بمثل هذا، وانتهوا إلى أن جعلوا المسيح إلهاً يعبدونه(٦)... وقد أحلت الوهابية أتباعها من رابطة الولاء نحو الخليفة العثماني. وهي تحرم الخمر والدخان، ولكنها تحل القهوة، وتتساهل في أمر الملابس، وأما الشعر وخاصة اللحى فإنهم يقصونه بالمقصات، وهكذا كان يفعل اليهود المتعصبون المتمسكون بعاداتهم القديمة. وهم لا يغسلون أيديهم بعد الطعام حتى يذكر الإنسان دائماً نعمة الله عليه! ويقال: إن الوهابية تتساهل مع المسيحيين أكثر من تساهلها مع المسلمين، وهذا غير صحيح! فقد علمنا أن رجالاً من باريس أرادوا العودة إلى بلادهم بطريق فارس؛ فاستولت على سفينتهم عشيرة القواسم، ولم يستطيعوا إنقاذ حياتهم إلا بالدخول في الوهابية وقبول الختان.... ولما هاجم الإنجليز القواسم استنجد هؤلاء بالباريسيين؛ فاستعملوا الأسلحة النارية ضد الإنجليز، وكان ذلك وسيلة لإرضاء ضمائرهم بمقاتلة أعداء وطنهم أكثر منها وسيلة لاسترضاء القواسم. وأصبح الوهابيون أكثر تسامحاً مع المسيحيين بعد أن اكتشف سعود الكبير أن أهل الكتاب غير ملزمين بتغيير دينهم، وإنما يجب

---

(٦) هذا تلخيص مخل للصفحة ٢١، وقسم من الصفحة ٢٢ من كتاب دونرسيا.

عليهم دفع الجزية، وفي هذا كسب مادي لم يكن ليزهد فيه!"(٧)، وبحثت عن الكتاب في مكتبات المملكة فلم أجد نسخة منه، ولما وصلتني صورة منه بمساعدة كريمة من سمو الأمير تركي بن فهد بن عبدالله بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود اتضحت لي جوانب مهمة في تاريخ الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية أحببت أن أنشرها بين الناس.

وكان "ميشو" في كتابه "التراجم الكونية"، و"إدوارد دربيو" في تقديمه لكتاب جان ريمون "التذكرة في تاريخ الوهابيين ودولتهم"(٨) قد تعرضا لقضية شغلت أوساط المستشرقين الفرنسيين في القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) عندما بدأت الأخبار ترد في تقارير الدبلوماسيين الفرنسيين عن الدولة السعودية الأولى وظروف ظهورها. وتتازع أولية هذه المعلومات القنصلان الفرنسيان في حلب وبغداد لويس ألكسندر أوليفيه دو كورانسيه(٩) (١٧٧٠ - ١٨٣٢م)

---

(٧) يخلط العجلاني - رحمه الله - بين روسو ودونرسيا، والكلام الذي يورده على أنه لروسو هو في واقع الأمر لدونرسيا في كتابه: نبذة قصيرة عن العرب وطائفة الوهابيين، باريس، ١٨١٨م، ص٢٠ - ٢٦، وهو تلخيص مخل في كثير من المواضع.

(٨) ترجمناه وعلق عليه شيخنا الشيخ أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري، ونشرته دارة الملك عبدالعزيز (كتاب الدارة الخامس)، ١٤٢٤هـ.

(٩) هو لويس ألكسندر أوليفيه دو كورانسيه: Louis-Alexandre-Olivier de Corance، ولد في باريس عام ١٧٧٠م. وكان ضمن البعثة العلمية الفرنسية التي رافقت حملة نابليون على مصر، التحق بالحملة في عام ١٧٩٩م، ثم أصبح بعد ذلك قنصل فرنسا في حلب، وعضواً =

(١١٨٤-١٢٤٨هـ) الذي نشر نبذة في مجلة "المونيتور"(١٠) عام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ)، ثم أصدر عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ) كتاباً بعنوان: تاريخ الوهابيين من النشأة حتى عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)(١١)، وجان باتيست - لويس - جاك روسو (١٧٨٠ - ١٨٣١م) (١١٨٤-١٢٤٧هـ)، الذي تحدث عن الوهابيين في تالي كتابه "وصف ولاية بغداد" الذي نشره سلفستر دوساسي(١٢).

ويقول ميشو(١٣): "إن جان باتيست - لويس - جاك روسو أرخ في هذا الكتاب للدعوة الوهابية حتى عام ١٨١٣

= في المعهد (الأكاديمية الفرنسية) في عام ١٨١١م، وتوفي في أسنيير Asnières عام ١٨٣٢م. انظر لمؤلفاته عدا كتابه عن تاريخ الوهابيين بحثنا: لويس ألكسندر أوليفيه دو كورانسيه وكتابه: تاريخ الوهابيين منذ النشأة حتى عام ١٨٠٩م [١٢٢٤هـ]، المنشور في مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد الخامس/ السنة الثالثة، ذو القعدة ١٤٢٢هـ/ يناير ٢٠٠٢م، ص١٦٥ - ١٩٨.

(١٠) صحيفة فرنسية قديمة، اسمها المونيتور الكوني Le Moniteur Universel، تأسست في الرابع والعشرين من نوفمبر ١٧٨٩م، أسسها شارل - جوزيف بانكوك Charles-Josephe Panckouke، وتوقفت عن الصدور في عام ١٩٠١م.

(١١) ترجمته بالاشتراك مع الدكتور إبراهيم البلوي بتكليف من دارة الملك عبدالعزيز، ولم ينشر بعد.

(١٢) سلفستر دوساسي من كبار المستشرقين الفرنسيين، المشاركين في الحياة العلمية عن الشرق مشاركة كبيرة، ولد في باريس عام ١٧٥٨م، وتوفي فيها عام ١٨٣٨م.

(١٣) في كتابه: "التراجم الكونية" (النص الفرنسي)، ج٢٩، ص٤٦٤. والتراجم الكونية Biographie Universelle المجلد ٣٦، ص ٦٢٦ - ٦٢٩؛ لجوزيف - فرانسوا ميشو Joseph-François Michaud، محقق ومؤرخ فرنسي ولد عام ١٧٦٧م، وتوفي ١٨٣٩م، كان عضواً في =

(١٢٢٨هـ)". وجاء في كتاب "التراجم الكونية" في ترجمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب(١٤): "إن نشر النبذة في تالي كتاب وصف ولاية بغداد، عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)(١٥)، والتذكرة في ثلاث طوائف مشهورة في الإسلام: الوهابيون، والنصيريون، والإسماعيليون، عام ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)، لروسو كان موضع نقاش بين القنصلين اللذين يبدو أنهما اقتبسا من المصادر نفسها، ولكن الأسبقية ينبغي أن تُعطى للسيد روسو".

وكنا نشرنا بعض أطراف هذا التنازع، وننشر اليوم رأي روسو الذي كان غائباً وحضر بحضور صورة الكتاب، يقول رسو في مقدمة كتابه: "إن النبذ الثلاث التي سنقرؤها [في هذا الكتاب] سبق لأولاها أن نشرت في ذيل كتاب "وصف ولاية بغداد" الذي طبع عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)؛ أما الثانية والثالثة فقد ظهرتا في عدد المجلة الموسوعية للسنة التالية. إننا ونحن نعيد اليوم نشر هذه المحاولات المتواضعة التي عدلناها وأضفنا إليها إضافات كبيرة، مجبرون على تقديم رد حاسم على اعتراضات السيد كورانسيه الذي استباح

= الأكاديمية الفرنسية لسنوات عدة، أشهر كتبه: تراجم معاصرة ١٨٠٦ - ١٨٠٧م؛ تاريخ الحروب الصليبية ١٨١١ - ١٨٢٢م؛ التراجم الكونية، ١٨١١ - ١٨٢٨م، وهو كتاب تراجم متقن، طبعته الثانية ١٨٥٤م في ثلاثين مجلداً. انظر موسوعة لاروس القرن العشرين، (بالفرنسية)، مج٤، ص٨٥٨.

(١٤) المصدر السابق، مج٢٨، ص٤٦٣ - ٤٦٤.

(١٥) ترجمناه بتكليف كريم من دارة الملك عبدالعزيز وأمينها العام معالي الدكتور فهد بن عبدالله السماري، ولم ينشر بعد.

لنفسه أن ينازعنا حق ملكية المعلومات عن الوهابيين؛ لأنه نشرها قبلنا في صحيفة "المونيتور" عام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ).

وإليكم الواقعة: كان السيد كورانسيه قد حصل على معلوماته من ديداغوس فرنجية(١٦) Didagos-Frandjié الذي حصل هو نفسه عليها منا. ولا شك أن هذا النصراني الماروني الحلبي أخفى عن كورانسيه بدافع الغرور الخالص المصدر الذي استقى منه تلك المعلومات، وهذا بلا شك ما دفع زميلنا إلى الوقوع في الخطأ، وهو زميل نعرف على الرغم من كل شيء أمانته وصراحته مما يمنعنا عن اتهامه بالتجني علينا.

اعتمد السيد كورانسيه على شهادة أحد أعضاء المعهد(١٧)؛ ليبرهن على التطابق بين مختصره التاريخي المنشور في "المونيتور" وبين نبذتنا عن الوهابيين(١٨). وإن ذلك التطابق هو الذي نسوغ به وجهة نظرنا التي قَبِلَها وأكَّدها عضو آخر من

---

(١٦) يقول السيد كورانسيه الذي يسميه دييغو فرنجية Diego Frangé (انظر تقديم كتابه تاريخ الوهابيين، ص ٧): إن هذا النصراني الماروني زوده بتفاصيل غاية في الأهمية عن الوهابيين؛ ولكنه نسي أن يضيف أن تلك المعلومات هي على وجه التحديد ما نشره في "المونيتور" عام ١٨٠٤م. (روسو).

(١٧) معهد فرنسا Institut de France الذي تأسس بموجب المادة ٢٩٨ من النظام التشريعي للسنة الثالثة من تقويم الثورة الفرنسية، وجمع الأكاديميات الثلاث التي ألغيت عام ١٧٩٣م، ونظمه قانون ٣ برمر للسنة ٤. كان يضم ٣١٢ عضواً يقسمون إلى ثلاث فئات: العلوم الفيزيائية والرياضية؛ العلوم الأخلاقية والسياسية؛ الأدب والفنون الجميلة.

(١٨) انظر تقديم كورانسيه نفسه، ص٣.

المعهد نفسه، في الزمن نفسه الذي أثيرت فيه تلك القضية.

وقد أكد ديداغوس فرنجية نفسه ما ذكرناه قبل قليل بتصريح أصيل أرسل في عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ) إلى باريس. ناهيك عن أن تذكرته عن الوهابيين بالعربية، وهي تذكرة كتبها كما يعترف بذلك انطلاقاً من ملاحظاتنا نفسها موجودة في حوزة عدد من الأشخاص في حلب؛ ويكفي أن نقرأها بالمقارنة مع المختصر التاريخي الذي نشره السيد كورانسيه؛ لنقتنع بأن ذلك المختصر لا يحتوي إلا على ما هو منقول كلمة كلمة عن تلك التذكرة.

ناهيك عن أن علاقاتنا القديمة والطويلة مع بغداد والبصرة ومسقط، وكذلك مع عرب البحرين ونجد والدرعية نفسها، بالإضافة إلى المعارف المحلية والتسهيلات المتنوعة التي وفرتها لنا إقامتنا التي امتدت لأكثر من عشرين عاماً في تلك البلاد الآسيوية البعيدة، كل ذلك يثبت بما فيه الكفاية أن لدينا قدرة أكثر من السيد كورانسيه على جمع المعلومات موضع النزاع، وهي معلومات لم نكن بكل تأكيد لنوليها أي أهمية لولا أنها أصبحت موضوعاً لتساؤل عام.

إن ما نأسف له كل الأسف أننا وجدنا أنفسنا مجبرين في مواجهة مع زميل كنا نحرص على الدوام على أن نستحق احترامه ورعايته: هذه المواجهة غير المقصودة تجعلنا نشعر بالحزن خصوصاً أنه ينبغي أن نعيد السبب الحقيقي والوحيد لتلك المواجهة إلى تردُّد ديداغوس فرنجية، لكي لا نقول: إلى سوء نيته.

إن حديثنا عن كورانسيه يستدعي الحديث عن موضوع السيد ريمون الذي يتحدث عنه كورانسيه(١٩)؛ ديمون الذي حاول من جانبه بسوء نية مقصود، وفي الزمن نفسه أن ينسب إلى نفسه قسماً من الأخبار التي تضمنها كتاب "وصف ولاية بغداد"، ولكنه لما كان لم يروج لادعاءاته فإن اللياقة تفرض علينا أن نتناساها. وليعلم مع ذلك أننا ننوي لاحقاً نشر طبعة جديدة منقحة ومزيدة من ذلك الكتاب (يقصد: وصف ولاية بغداد) الذي يعود زمن نشره - كما ينبغي عليه أن يتذكر - إلى المدة التي سعدنا فيها باستقباله في منزلنا في حلب. وسنحاول الآن أن نفصل القول في التغييرات والزيادات التي تجعل من نبذتنا عن الوهابيين مختصراً تاريخياً أكثر تماماً، ومن ثم أكثر جدارة لنيل إعجاب اثنين من الأكاديميين المشهورين اللذين أراد أحدهما أن يكون ناشر تلك النبذة في عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)، وأشار إليها الآخر في عدد المجلة الموسوعية لشهر سبتمبر "أيلول" في السنة نفسها (شعبان ١٢٢٤هـ).

١ - أعدنا صياغة تلك النبذة كلها، (التي سبق أن نشرت في تالي كتاب وصف ولاية بغداد) وصححناها بعناية.

٢ - أضفنا إليها الملحق الأول الذي نشر في العدد الأربعين من حوليات الجغرافيا والأسفار لعام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ).

٣ - وقد أضفنا إلى ذلك الملحق نفسه لائحة بالأراضي الخاضعة للأمير سعود، وهي لائحة نجدها مفصلة في التعاليق المرافقة لكتاب السيد كورانسيه(٢٠).

---

(١٩) المصدر السابق، ص ٧.

(٢٠) تاريخ الوهابيين، ص ١٧٦ و ٢١٤.

٤ - يأتي بعد ذلك مختصر جديد كل الجدة عن أصل الوهابيين وغزواتهم حتى عام ١٢٢٤هـ، وهي قطعة غريبة كل الغرابة، حررناها في حلب اعتماداً على مخطوطة أصلية وصلت من الدرعية.

٥ - ويتلو تلك القطعة ملحوظات خاصة حول عادات الوهابيين وتقاليدهم، مرفقة بوصف مختصر للصحراء والمواشي التي يربونها.

٦ - وهناك في النهاية رواية مختصرة لآخر أحداث تاريخهم العسكري حتى استيلاء القوات المصرية على مكة والمدينة، وهي رواية تنهي النبذة وتتمها على وجه من الوجوه.

لقد أضفنا إلى هذه الطبعة الجديدة ناهيك عن التعاليق والتوضيحات كشافاً أبجدياً للمحتويات، يهدف إلى تسهيل عملية البحث في الكتاب"(٢١).

نجد في هذه المقدمة كثيراً من المعلومات المهمة التي تعيد بعض القضايا التي نشرت إلى سياقها الصحيح في قضية النزاع بين القنصلين حول قصب السبق في الكتابة عن الوهابيين، ونعلم من خلالها أن كورانسيه الذي اعتمد على فرنجية كان مغرراً به؛ لأن هذا الأخير استقى معلوماته من روسو الذي كان له مصادره الخاصة كما سنرى.

---

(٢١) انظر كتاب روسو: التذكرة في ثلاث طوائف مشهورة في الإسلام: الوهابيون، والنصيريون والإسماعيليون، باريس - مرسيليا، ١٨١٨م، التقديم، ص١ - ٣.

والقضية الثانية المهمة هي قول روسو: إنه نشر في هذا الكتاب مختصراً جديداً كل الجدة عن أصل الوهابيين وغزواتهم حتى عام ١٢٢٤هـ، وهي قطعة غريبة كل الغرابة حررها كما يقول في حلب اعتماداً على مخطوطة أصلية وصلت إليه من الدرعية.

ما عنوان هذه المخطوطة، ومن مؤلفها؟

كان الدكتور عبدالله الصالح العثيمين قد نشر كتاباً بعنوان: "كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب" لمؤلف مجهول[٢٢]، وبمقارنة المعلومات الواردة في هذا المختصر بالكتاب المذكور اتضح أنه المخطوطة التي أشار إليها روسو، وقال: إنها وصلت إليه من الدرعية، ولكن المفاجأة الأطرف كانت ما ذكره روسو في كتابه[٢٣] عندما قال ما ترجمته: "مختصر تاريخي عن أصل الوهابية وغزوات الشيخ محمد، وابن سعود، وعبدالعزيز وسعود حتى عام ١٢٢٤هـ[١٨١٠م]؛ حررناه اعتماداً على مخطوطة أصلية وصلت إلينا من الدرعية نفسها، ومؤلفها الشيخ سليمان النجدي [المولود في نجد]".

المملكة العربية السعودية
كيف كان ظهور
شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب
لمؤلف مجهول
دراسة وتحقيق وتعليق
الدكتور عبدالله الصالح العثيمين
الرياض

إذن مؤلف الكتاب هو المدعو سليمان النجدي، وقول روسو: إن ذلك المؤلف مولود في نجد يوحي بأن الرجل كان

---

(٢٢) في عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور عبدالله الصالح العثيمين، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

(٢٣) في الصفحة، ٢٧.

خارجها؛ لأن لقبه هذا (النجدي) يدل على ذلك. ومما زاد ثقتنا أن الكتاب هو المقصود، عدا عن اتفاق النصوص بين روسو والكتاب المذكور، اتفاق الملاحظة بين الدكتور العثيمين محقق الكتاب(٢٤) وروسو الذي يقول(٢٥): "لما كان مؤلف المخطوطة قد أهمل كلياً التأريخ للأحداث التي يوردها، ولما كان تدارك مثل هذا يصبح أكثر صعوبة كلما تقدمنا في التحرير فإننا - ولكي لا تختلط الأمور في مجموعة الأحداث التي يوردها متفرقة دون الاعتماد على أي تسلسل تاريخي - سنعمد إلى متابعته خطوة خطوة في سرد الغزوات اللاحقة لسعود وقادته". أما ترجمة سليمان النجدي هذا فذلك شأن آخر ربما تكشفه لنا مقبلات الأيام، ولعل الصفات التي أسبغها عليه الدكتور العثيمين في تقديمه للكتاب تساعدنا في التحقق من شخصيته في بحوث مقبلة.

وكان الدكتور آل زلفة قال(٢٦): "أما عن طبيعة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيذكر أنه استقاها من كتاب تاريخ ظهور دعوة ابن عبدالوهاب الإصلاحية، بيد أنه يذكر أن هذا الكتاب أصبح في حكم المفقود أو النادر. ويذكر أيضاً أن الخطيب المذكور (يقصد خطيب الإمام سعود) أبدى استعداده لأن يكتب له تاريخاً على غرار ذلك التاريخ المفقود أو النادر، وأشار روسو إلى أنه سيترجمه إلى الفرنسية أو على الأقل يعمل له تحليلاً. وقد أشار الدكتور عبدالله

---

(٢٤) انظر ملحوظات الدكتور العثيمين في مقدمة الكتاب، ص٢٤ - ٢٧.

(٢٥) في الصفحة ٣٢، من كتاب روسو موضوع البحث.

(٢٦) في بحثه الذي سنذكره بعد قليل، ص١٥٠.

العثيمين ضمن قائمة مراجع كتابه "الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره" إلى مخطوطة مجهول مؤلفها بعنوان: "كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب" في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم (٦٠٦١)، ولعل المزيد من الدراسة حول هذه المخطوطة يكشف لنا شخصية هذا الخطيب ومدى علاقته بهذه المخطوطة. وقال الدكتور آل زلفة في حاشية الصفحة المذكورة نفسها من بحثه: "ولعلها [المخطوطة] من إملاء الخطيب الذي أشار إليه روسو على كاتب شامي بناء على طلب القنصل". وما يتضح من الكتاب الذي نتحدث عنه أن المخطوطة التي نقل منها روسو هي الكتاب الذي نشره الدكتور العثيمين، ولم يشر روسو إلى أن للخطيب علاقة بهذا الكتاب، وإنما نسبه لمن دعاه سليمان النجدي كما قلنا.

ثالث القضايا التي يلقي عليها هذا الكتاب ضوءاً هي المعلومات التي نشرها الدكتور محمد آل زلفة في بحثه "الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود الكبير ١٢١٨ - ١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣ - ١٨١٤م، العاصمة والحكومة والسكان كما وردت في تقارير جوزيف روسو القنصل الفرنسي في حلب"(٢٧). يقول الدكتور آل زلفة(٢٨): "وما يهمنا في هذه العجالة هو نشر مقتطفات من تقارير لقنصل فرنسا العام في حلب السيد جوزيف روسو، وهي تقارير عثرتُ عليها

---

(٢٧) مجلة الدرعية، السنة الأولى - العدد الأول، المحرم ١٤١٩هـ/ مايو ١٩٨٨م، ص١٤٥ - ١٧٠.

(٢٨) في بحثه المذكور سابقًا، ص١٤٨.

ضمن محفوظات أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية. أول هذه التقارير كتب في بغداد في شهر نوفمبر "تشرين الثاني" من سنة ١٨٠٨م (رمضان ١٢٢٣هـ)، وهو يلقي الضوء على بداية قيام الدعوة، وطبيعتها، وتطورها وانتشارها، ملحقاً به خارطة للدرعية العاصمة الأولى وبيانًا بأسماء المقاطعات والحكام التابعين لحكومة الأمير سعود الكبير، ومعلومات عن المدينة نفسها، أما الخارطة والمعلومات الأخرى فكتبها عند عودته إلى مقر قنصليته في حلب مستقياً معلوماته ممن أسماه بخطيب مسجد الأمير سعود الخاص والذي يذكر أنه قابله في حلب"(٢٩).

وبمقارنة ما ورد من معلومات في تلك التقارير وما في كتاب روسو وجدنا أن التقارير هي المعلومات في حالتها

---

(٢٩) لعل من أن أهم التقارير التي كتبها روسو التقرير الذي أشار إليه لويس بوانسو في مقدمته لرحلة روسو من بغداد إلى حلب يقول: "وفي عام ١٨٠٨م أرسل مؤلفنا إلى الحكومة الفرنسية مخططاً لعبور القوات الفرنسية عبر تركيا وبلاد فارس [لمهاجمة بريطانيا في الهند] مع ملاحظات حول الأماكن والسكان؛ قُدِّم ذلك المخطط إلى الجنرال السفير غاردان Gardanne". وما زالت مخطوطته موجودة اليوم في أرشيفات وزارة الخارجية الفرنسية (وثائق بلاد فارس ١٨٠٦ - ١٨٢٩، رسالة مؤرخة في ١٨ يناير "تشرين الثاني" ١٨٠٨م، ومكتوبة على ورق أزرق).

يثبت هذا المخطط أن نابليون فكر في "مهاجمة بريطانيا في إمبراطوريتها الآسيوية" في وقت يسبق بزمن طويل الرسالة الشهيرة المؤرخة في ٢ فبراير "شباط" ١٨٠٨م التي يعرض فيها على القيصر الروسي ألكسندر غزو الهند "بجيش مكون من خمسين ألف جندي، روس وفرنسيين، وربما بعض النمساويين". وقد عطلت حروب البرتغال وأسبانيا تنفيذ هذا المخطط الضخم الذي ينبغي الاعتراف بأنه لم يلق الحماسة اللازمة في سان بطرسبورغ.

وجدنا في التقارير التي نشرت اختلافاً في المعلومات عما نجده في كتاب روسو

الأولى، ويبدو أن روسو نَسَّقها بعد ذلك، ونشرها في كتابه كما يقول روسو نفسه. وقد وجدنا في التقارير التي نشرها الدكتور آل زلفة اختلافاً في المعلومات عما نجده في كتاب روسو، وبعض تلك الاختلافات غريب، وربما كان مضللاً؛ من ذلك أن الدكتور آل زلفة يذكر في بحثه أن الإمام سعود كان "يخرج لصلاة يوم الجمعة إلى أحد مساجد الدرعية حيث يحضر الصلاة معه ما يربو على عشرين ألف مصلٍّ من الدرعية وخارجها"(٣٠). ولما كتب الدكتور عبدالله المطوع كتابه عن "مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى" وقف أمام هذه المعلومة موقف المتشكك، فأوردها، وقال: "وليت روسو سأل راويته "الخطيب" عن ذلك الجامع الذي يمكن أن يستوعب مثل هذا العدد! ولهذا يصعب قبول مثل هذا العدد الكبير؛ فلابد من إعادة النظر في هذه الروايات وأمثالها من الروايات التي لا تخلو من المبالغة"(٣١). والحق أن روسو لم يقل هذا، وإنما أخطأ المترجم، وعبارة روسو الصحيحة هي: "كل يوم جمعة كان سعود يخرج لأداء صلاتها في أحد المساجد العامة، وكان

الجمعية التاريخية السعودية
بحوث تاريخية
سلسلة محكمة من الدراسات التاريخية والحضارية
مجتمع الدرعية
في عهد الدولة السعودية الأولى
الدكتور عبد الله بن محمد المطوع
جامعة الملك سعود - الرياض
كلية الآداب - قسم التاريخ
الإصدار الرابع عشر
محرم ١٤٢٤هـ / مارس ٢٠٠٣م

---

(٣٠) البحث السابق، ص١٦٢.

(٣١) مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى، د. عبدالله بن محمد المطوع، مطبوعات الجمعية التاريخية السعودية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٨٨ - ٨٩.

أتباعه في ذلك العصر أكثر من عشرين ألفاً ينتمون إلى كل الطبقات، وفي عيدي الفطر والأضحى كان قادة الأمة كلها يجتمعون؛ فينتقل سعود في موكب رسمي حافل إلى الصحراء لذكر الله العلي القدير متبعاً عادة العرب القديمة"(٣٢).

وهناك اختلافات أخرى كثيرة منها: أن روسو يقول: إن للإمام سعود (٤) بنات، وفي بحث الدكتور آل زلفة هن (٥) بنات، وله حسب روسو (زوجتان)، وهن في بحث الدكتور آل زلفة (٣)؛ ومنازل الدرعية تقدر لدى روسو بـ (٦٠٠٠) منزل، وهي في بحث الدكتور آل زلفة (٢٥٠٠)(٣٣). وفي بقية ما أورده الدكتور آل زلفة اختلاف عما في الأصل(٣٤).

١٥٥

موجز لتاريخ الوهابي

ACCOUNT

HIS MAJESTY'S MISSION

PERSIA

A BRIEF HISTORY

WAHAUBY

وقد وجدنا الدكتور عويضة بن متيريك الجهني في بحثه: "كتاب موجز لتاريخ الوهابي" للسير هارفرد جونز بريدجز، يقول(٣٥): "من أبرز الكتاب الأوروبيين الذين نقلوا أخبار الدعوة الإصلاحية بشيء من التفصيل إلى أوروبا السيد جان باتيست روسو، الذي شغل منصب القنصل العام الفرنسي

---

(٣٢) التذكرة في ثلاث طوائف مشهورة في الإسلام، (النص الفرنسي)، ص ٢٥ - ٢٦.

(٣٣) وسنشير إلى الاختلافات كلها عند نشر الكتاب بإذن الله.

(٣٤) وسيتضح ذلك عندما ننشر كتاب روسو مترجماً ترجمة كاملة بإذن الله.

(٣٥) المنشور في مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد السابع، السنة الرابعة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص١٢٩ - ١٣٠، ١٣٨.

العام في بغداد ثم في حلب، والذي نشر كتابه [الصواب نبذته] "ملاحظات تاريخية عن الوهابيين" في عام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ)، ثم أعاد نشره ملحقاً بكتابه الآخر "وصف باشوية بغداد" في باريس عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)... بل إن السيد روسو صور الدعوة الإصلاحية بأنها حركة مناهضة للإسلام وخارجة عن العقائد الدينية، وشبهها بحركة القرامطة، مردداً بذلك الاتهامات التي كان العثمانيون وولاتهم ينسبونها لأهل الدعوة. ولابد أن السير بريدجز قد قرأ هذه المؤلفات الفرنسية؛ لأنه وجه انتقاداً لاذعاً إلى السيد روسو بسبب الأخطاء الفادحة التي وردت في مؤلفاته". وأحال الدكتور الجهني إلى كتاب كيلي: "بريطانيا والخليج العربي" في نصه الإنجليزي، (ص٤٨ - ٤٩)، وإلى كتاب بريدجز في نصه الإنجليزي أيضاً، (ص ١٠٩ و ١١٢)؛ وقال: وقد عدَّل روسو بعض آرائه في عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) حين نشر مقالته: "وصف الأقاليم التي يسيطر عليها الأمير سعود، الأمير الحالي للوهابيين"(٣٦).

وفي الكلام خلط بين روسو وكورانسيه؛ لأن ناشر النبذة عن الوهابيين عام ١٨٠٤م (١٢١٩هـ) هو كورانسيه، نشرها في صحيفة "المونيتور"، ثم جاء سلفستر دوساسي ونشر كتاب روسو "وصف ولاية بغداد" عام ١٨٠٩م (١٢٢٤هـ)، وفي تاليه نبذة عن الوهابيين، فاتهم كورانسيه روسو بأنه سطا على ما

---

(٣٦) وانظر أيضاً كتاب "موجز لتاريخ الوهابي"، تأليف: السير هارفرد جونز بريدجز، ترجمة ودراسة وتعليق د. عويضة بن متيريك الجهني، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٣٩ - ٤٠.

كان نشره من قبل، ثم ظهر كتاب كورانسيه "تاريخ الوهابيين منذ النشأة حتى عام ١٨٠٩م" (١٢٢٤هـ) في عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ) في باريس. أما ما ذكره عن تعديل روسو بعض آرائه في مقالة نشرها عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) فقد كان ذلك في عام ١٨١١م (١٢٢٦هـ) في "المجلة الموسوعية" كما يصرح بذلك روسو في مقدمة كتابه هذا عن الطوائف الإسلامية الثلاث الذي طبع عام ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)(٣٧). أما خطيب مسجد الإمام سعود الذي أشار إليه الدكتور آل زلفة فقد نقل عنه روسو كما يقول في كتابه(٣٨) القائمة التي تضمنت الحديث عن البلاد التابعة للأمير سعود الأمير الحالي للوهابيين كما يقول (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م)، ويتلو ذلك نبذة قصيرة عن شخصية الأمير العربي المذكور التي استقى معلوماته فيها عن إمامه أو مرشده "استخدم روسو كلمة إمامه (إمام بالعربية)، ثم ترجمها إلى الفرنسية بمصطلح يعني بالعربية: مرشده" الذي جاء إلى حلب في شهر سبتمبر "أيلول" عام ١٨٠٩م (شعبان ١٢٢٤هـ). يقول روسو في المذكرة المرفقة بتقريره الذي نشره الدكتور آل زلفة(٣٩) "... وستجد يا صاحب المعالي، أقلّ نسبة ممكنة من الشك في صحة ما ورد عن الوهابية ونفوذهم، والملاحظات التي حصلت عليها لأول مرة معتمداً على خطيب الأمير سعود -

---

(٣٧) وروسو لم ينشر كتابه وصف ولاية بغداد، وإنما نشره سلفِستر دوساسي.

(٣٨) النص الفرنسي، ص٢٣.

(٣٩) انظر بحثه الموثق سابقًا، ص ١٦٥.

وقد سبق أن ذكرته في تقريري (من على ضفاف الفرات) - وهو موجود حالياً في حلب. ولعل قدومه إليها للمسارعة في إعادة بعض المواد أو الأشياء التي سرقها بعض عرب الصحراء (البدو) من تجار تلك المدينة. بالإضافة إلى هذا قمت بوضع خارطة للدرعية وضواحيها، رُسِمت على مرأى من الخطيب نفسه، وهو المصدر الذي استقيت منه هذه المعلومات بناء على موافقته".

ويتحدث روسو في مذكرته عن وجود تاريخ عام عن أصل الوهابية، وتطورها يتكون من جزئين متوسطي الحجم(٤٠)، يقال: "إن مؤلفه واحد من أعقل خطبائهم، ويعد في الوقت نفسه واحداً من أثمن الأعمال التي لم يستطع أحد اليوم العثور عليه في أي مكان من آسيا. لقد طلبت يا صاحب المعالي من الخطيب المشار إليه أعلاه أن يكتب لي على مهل عملاً موثقاً ومماثلاً للنسخة الأصلية لذلك التاريخ المفقود، وبمجرد أن يصبح في حوزتي سأوليه أهمية خاصة، وسأترجمه أو على الأقل أحلله، وعندما أنتهي منه سأبعث به إليكم". ويقول الدكتور آل زلفة في بحثه(٤١): "إن هذا ما جعله يعتقد أن المخطوطة المجهولة المحفوظة في المكتبة الوطنية في باريس، التي حققها الدكتور العثيمين، وطبعتها دارة الملك عبدالعزيز ربما تكون تلك التي أملاها ذلك الخطيب، وبعثها روسو فيما بعد إلى وزير الخارجية الفرنسية، ثم حلت أخيراً في المكتبة الوطنية في باريس".

---

(٤٠) لعله يقصد تاريخ ابن غنام.

(٤١) في حاشية الصفحة، ١٦٦.

ويشير روسو في كتابه إلى كتاب آخر يقول: "إنه كتاب غريب عنوانه: حوار بين الشيخ محمد وابن سعود، مؤلفه هو المدعو الشيخ ملحم الزبيري، وهو كتاب يمكن من خلاله كما يقول التعرف على سمات هذين الرجلين المشهورين، ويعطي فكرة عن عادات الشعب الذي يمثلانه وتقاليده"(٤٢).

إن ما نشره الدكتور آل زلفة حالة أولى من البحث والتأليف في موضوع التأليف عن الدعوة الوهابية

إن ما نشره الدكتور آل زلفة هو في واقع الأمر حالة أولى من البحث والتأليف في موضوع التأليف عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والحالة الأخيرة هي ما نشره روسو في كتابه الذي نشر في ١٨١٨م (١٢٣٣هـ)، وكانت الحالة الأخيرة من تأليفه في هذا المجال، وهي حالة بينت لنا كثيراً من الأمور التي كانت خافية أو مضطربة.

أما حديث روسو عن خطة للقضاء على الحركة الإصلاحية في عقر دارها فهو ما ذكره قبله جان ريمون الذي كتب مذكرة عن هذا الموضوع في عام ١٨٠٥م (١٢٢٠هـ) إبَّان إقامته في حلب بطلب من السيد روسو الابن(٤٣).

أما ما ذكره الدكتور العجلاني - رحمه الله - من أن روسو "قارن في كتابه هذا بين الوهابية والإسماعيلية والنصيرية؛

---

(٤٢) انظر كتاب روسو: التذكرة في ثلاث... (النص الفرنسي)، ص٣.

(٤٣) ونجد تفصيل ذلك في كتاب "التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم"، م. س، ص١٠١ وما بعدها.

ليظهر اختلافها عنهما خلافاً لبعض المؤلفين العثمانيين" فهو قول يدل على أنه لم يطلع على الكتاب؛ لأن روسو لم يقم بأي مقارنة، وإنما نشر في كتابه هذا بحثين له عن الطائفتين كان أرسلهما منفصلتين إلى باريس عام ١٨١٠م (١٢٢٥هـ)، وأعاد نشرهما في هذا الكتاب مع بعض التعديل.

إن المصادر الفرنسية(٤٤)، كلما تقدمنا في الحصول عليها والنظر فيها، ما زالت تبوح لنا بكثير من الأسرار عن تاريخ الدولة السعودية الأولى عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية؛ مما يضيء كثيراً من الأمور الغامضة، ويدقق بعضها الآخر المضطرب، وسيحتوي على كل هذا كتابنا الذي يشغلنا تأليفه هذه الأيام بالعربية والفرنسية.

---

(٤٤) أشار بوركهارت في كتابه: ملاحظات عن البدو والوهابيين، ترجمة غاندي المهتار، نشر مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، ص ١٦١ إلى رسالتين لروسو عن الوهابيين، وجاء في حاشية الصفحة أن الرسالة الأولى "وصف ولاية بغداد" والأخرى "مناجم الشرق؟". قلت: وفي الكلام تعميم كبير وخطأ؛ فوصف ولاية بغداد مذيل بنبذة عن الوهابيين، و"مناجم الشرق" مجلة نشرها هامر في فينا، عنوانها:

Les mines de l'orient, M. Hammer

وفيها وصف لولاية حلب من تأليف روسو، وقد ظهر وصف ولاية حلب بعد ذلك في كتاب روسو، أمشاج في التاريخ والأدب الشرقي، باريس، ١٨١٧م،

Mélanges d'histoire et de littérature orientale, Paris, 1817.

انظر مقدمة لويس بوانسو لنشره رحلة جان - باتيست روسو من بغداد إلى حلب، باريس ١٨٩٩م، ص١٣ من المقدمة (بالفرنسية)، وهي مقدمة ترجمناها ونرجو أن تنشرها مجلة الدارة الغراء.